وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

تحت إشراف الدكتور: سيليني نور الدين

طالبة دكتوراه سنة أولى: طيهار نسيبة

تخصص نقد أدبي وتحليل خطاب

جامعة محمد بوضياف المسيلة

رقم الهاتف: 0672864422

البريد الإلكتروني: taiharnassiba@gmail.com

المحور الخامس: مقاربة المنهج السوسيولوجي التاريخي/ والمنهج البسيكولوجي التحليلي.

عنوان المداخلة: تيمة العرف في الرواية الجزائرية" رواية غادة أم القرى"

"أحمد رضا حوحو" –دراسة موضوعاتية–

الملخص:

تروم هذه الدراسة إلى إبراز تيمة العرف في رواية "غادة أم القرى" للروائي أحمد رضا حوحو، وتتبع موضوعاته الأخرى: الأرض، والمرأة، لرصد أهم الموضوعات الأساسية الحاضرة في النصوص الإبداعية في العمل الأدبي الروائي، من أجل التقاط تلك المعاني و الصور المهيمنة عليها، وذلك من خلال رصد هاته الصور الملحة والمتفردة والمتكررة التي تكشف مضامين الجمالية و الإبداعية للنص عبر تلك تواترات التي تظل تتردد عبر كامل النص، وهو ما يعكس العلاقة القائمة بين النص وموضوعاته، وكيفية وتحليلها و محاولة إستنطاقها لمعرفة الرؤى الفكرية و الإبداعية، من أجل إنتاج عمل ما وكذا معرفة مستوى الإبداع فيها.

الكلمات المفتاحية: المنهج الموضوعاتي، المرأة الحجازية، المرأة، التقاليد، الموضوعاتي.

Résumé :

Cette étude vise à mettre en évidence le véritable concept de coutume dans le roman de « Ghada Oum El Korra » du romancier Ahmed Rédha Houhou puis s'ensuivent ses autres sujets : la terre, la femme, afin d'observer les sujets fondamentaux les plus importants présents dans les textes créatifs dans l'œuvre littéraire romancière dans l'intention de recueillir les significations et les images qu'elles dominent et ce à travers l'observation de ces images récurrentes et uniques qui révèlent les contenus esthétiques et créatifs du texte à travers ces tensions qui se répètent le long du texte et c'est ce qui reflète la relation établie

entre le texte et ses sujets ainsi que la manière de les analyser et la tentative de son interrogatoire pour connaître les visions de pensée et de créativité dans le but de produire un quelconque travail ainsi que connaître le niveau de créativité qu'il comporte.

Mots clés : l'approche thématique, la femme du Hidjaz, la femme, les coutumes, les thématiques

أولاً: 1- طبيعة المنهج الموضوعاتي وتصور موضوع الرواية:

تُعّد الرواية جنس من الأجناس الأدبية الحديثة من حيث الكثرة، والازدهار، و الانتشار، حيث تتسيد الرواية المشهد الثقافي كنص أدبي على فضاء مفتوح له قراءاته من حيث أنه مرتبط بالواقع، فهو يرصد تلك التحولات الاجتماعية، والسياسية، والثقافية، التي شهدتها الستينيات القرن الماضي، وهي مجمل العوامل الأدبية، وغير الأدبية التي سمحت لظهور الرواية العربية باتجاهاتها الكلاسيكية الجديدة، وتعد إرهاصات الأولى ظهور الرواية العربية الجزائرية من خلال مؤلفه أحمد رضا حوحو "رواية غادة أم القرى" التي نشرت سنة 1947، ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة تحكي في مجملها عن حياة المرأة الحجازية وما تعتريها من ضغوطات الاجتماعية، والثقافية، والنفسية... وتعتبر من المحاولات التى أسهمت في تأسس الرواية العربية الجزائرية.

وتتبوأ الرواية المشهد الأدبي الجزائري فهي لم تترك مجالا إلاَّ واقتحمته فصورت لنا ومازالت تصور لنا العديد من المشاهد المقتطفة والمكتسبة من واقع الحياة بمآسيها، وآلامها، وآمالها، فالنص الروائي يتقاطع مع الواقع بكل أبعاده و جزيئاته من حيث أنه دال يحمل مدلولاً، وعند دراسة النص الروائي الأدبي لابد لنا من أن نقف على تلك العلاقة الجدلية في التعامل مع النص داخليا وخارجيا، ولعل هذا ما جعل تحليل النصوص، و الكشف عن دلالاتها عملية صعبة و معقدة، إذ يستلزم ذلك وجود حركة سريعة لقراءة النص من الداخل و الخارج وذلك لا يتأتى إلاّ بتوظيف المناهج النقدية الحديثة والمعاصرة حتى نلوي عنق النص ونخرج جوهر الإبداع فيه من خلال النقد بمراعاة خصوصياته الجمالية والثقافية،" **ولكن النقد في مجال الرواية -قليل إلى حد ما- إذا قيس بنقد الشعر، لذلك تظل الرواية في حاجة ماسة إلى النقد خاصة إذا ما أدركنا أن الرواية الحديثة تشكل وافد، مما يعني أن كثيراً من قضاياها النقدية وافدة أيضا**"[1].

وتشهد الساحة النقدية في الوقت الراهن تعدداً واضحاً في المناهج و النظريات والأفكار المهتمة بدراسة وتحليل النصوص الإبداعية المختلفة، محاولةً منها سد حاجة النقد المعاصرة إلى المعرفة الثابتة للنصوص و التى تتيح لنا التأسيس لمنهج نقدي قادر على إعطاء إجابات دقيقة و ممنهجة على خصوصيتها، فالنص في مفهومه الأدبي هو نسيج لغوي يخفي وراءه الكثير من المعاني و التى تجسد بدورها وظيفته الجمالية و الفنية، وقد استفادت المناهج النقدية كثيراً من بعض المقولات أنّ المنهج الذي يجدر به دراسة النص الأدبي لابد وأن يستمد أصوله ومفاهيمه من علم اللغة فقط وليس من غيره من المعارف الخارجية، فهو يحتاجها كمادة لغوية له حتى يدرسه، مما ساعد المناهج على تطورها واستمراريتها وفي هذا السياق يجدر بنا أن نذكر منهجين تأثرا باللسانيات هو المنهج البنيوي الذي كان له

حظ الأسد بما أحدثه من ضجة تداعت لها جميع الأقلام واستحوذت على كافة الاهتمام من كبار النقاد والباحثين،وأما المنهج الثاني فلم تكن له تلك الحضوة إلى يومنا هذا باعتبار أن الموضوعاتية تصدعت تاريخيا حيث اندرجت الموضوعاتية تحت **البنيوية***[2]،كما أنها تأثرت بمعطيات جعلتها تتخلى عن مكانتها للسيميائية رغم الأسماء الكثيرة والكبيرة التى ضمتها في قائمتها التاريخية، ورغم صنيع الرائدين "باشلار "و"بولي"،فإنه لم تكن هناك نظرية موضوعاتية مستقلة لم ترتبط بالنقد الأدبي الذّي كان يرغبان في متابعته،حيث رصد سعيد علوش هذه الإشكالية بقوله:"**كما أننا لاندعي سد فراغا أو تعويض غياب الإنتاج النظري النقدي بمادة استهلاك أبدية، لأن حذف مادة النقد الموضوعاتي من برامجنا الدراسية الجامعية أو غيابه في كتاباتنا لم يُصب قراءنا بالخيبة أو كلياتنا بالأسف**"[3]، والأمر نفسه نجده عنده ونتفق معه في الإشكاليات التى أثارها في أنّ هذا العمل لن يغير الكثير من قناعاتنا بقدر ما يدفعنا إلى التساؤل عن هذا المسكوت عنه في الترجمات والمقاربات والرسائل الجامعية:

1- **هل هي أزمة نقد موضوعاتي [4] أم أزمة عدم وجود قراء محتملين له؟.**
2- **هل حداثتنا العربية لا تمتلك من القنوات المعرفية غير تلك التي خصت بها وروجت لها جملة من الانتقادات و التأليفات المكيفة و التبسيطة لهذه الحداثة العربية؟**[5].
3- وعلى ضوء هذه الأسئلة التي طرحها سعيد علوش، كان لزاما أن نطرق ونتطرق لهذا المنهج بغية تزكيته في دراستنا للنصوص الإبداعية وتنمية مهارتنا النقدية: فهل يستطيع هذا المنهج العثور على تيمات موضوعاتية في الرواية واخراج القيمة الجمالية واستنطاق مكنوناتها الإبداعية، وعليه تحقيق إنتاج دلالة المهيمنة على كامل النص من خلال التقاطنا لتلك الموضوعات والمعاني التي تكون العمل الأدبي؟

2-مفهوم الموضوع وعلاقته بالنقد موضوعاتي:

يأتي معني مصطلح الموضوع عند نقادنا القدماء من **(مادة وضع)**"...**ونقول في كلامه توضيع و أيضع فيه تأنيث كلام النساء، والوضع: مصدر قولك وضع يضع،والدابة تضع السير وضعاً وهو سير دون، ونقول هي حسنة الموضوع و أوضعها راكبها**"[6]،وقد أخذ مصطلح الموضوع مفهوما أكثر دقة في عصر الحديث نتيجة للجهود المبذولة، وكذا لارتباط الموضوع باللغة وبالسياق فنجد الموضوع في معجمه الأدبي الحديث حيث ذكر جبور عبد النور:" **أنّ الموضوع هو: مضمون ما يجول في خاطرنا وليس هو ذاتنا وفيه يدل الموضوع على إحساس أو عاطفة أو صورة،وليس بالضرورة على شيء موجود في العالم، وأيضاً هو ماله وجود في ذاته مستقل عن الفكرة التي تكون في ذهننا عنه وموضوع الكلام المادة التي تكون في ذهننا عنه وموضوع الكلام المادة التي يجري عليها البحث شفوياً أو خطياً ومن ذلك قولنا: موضوع الرواية/موضوع النقاش....**"[7].

فالموضوع إذن هو مضمون لفكرة ما موجودة في أذهاننا وخيالتنا، وليس هو ذاتنا لأنّ وجوده في ذاته مستقل عن الفكرة التي تكوّن في ذهننا عنه فالموضوع كلام المادة، ونجد كذلك سمير الحجازي يصب في نفس القالب ويتفق مع جبور من حيث أنّ الموضوع عنه يمثل الفكرة الجوهرية التي أسس المبدع على نسجه عمله الإبداعي وتتبع بذلك إحساساته النفسية و السوسيولوجية حيث يعرفه:" **بأنه ما يدور حوله الأثر الأدبي بصورة مباشرة أو غير مباشرة أوهي الفكرة الجوهرية التي أراد المبدع التعبير عنها وهو عنصر أساسي في الدراسة السوسيولوجية أو النفسية**"[8].

وحدد هذا المفهوم سعيد علوش حين ربط الموضوع بوظيفة الإنسان في سياقاته الإجتماعية و الثقافية التي تكوّن شخصية الفرد المبدع، وكذا التي تساهم في تحديد هوية وتعكس إبداعها الجمالي و الفني و ذلك في تعريفه للموضوع:"**بأنه شيء مادي ينتجه ويمتلك وظيفة عند الإنسان عامة، وترتبط الوظيفة ب(الموضوع) في كوده السوسيو–ثقافي***[9]**، حيث لا يمكن للوظيفة وحدها أن توجد دلالة وبهذا يمكن للوظيفة أن تكون ذات فائدة جمالية أو رمزية**"[10].

ونجد أنّ الدراسات الحديثة تعرف الموضوع بما يرتبط مع وظيفته السياقية التي تندرج فيه، فالموضوع إذن: "فئة دلالية على مستوى البنية الكبرى أو إطار– frame– يمكن استخراجه من(الرواية/القصة)عناصر نصية متميزة(تيمات) توضحه ويعبر عن كينونات أكثر عمومية وتحديدا (أراء، أفكار، الخ) يدور حولها النص أو جزء منه(العرف)،وينبغي التمييز بين الموضوعة والأنواع الأخرى لفئات البنية الكبرى أو الأطر—**FRAME** التي تربط أيضا أو تأخذ في عين الإعتبار ربط العناصر النصية وتعبر عما يدور حوله النص أو أحد مقاطه(جزئيا)"الأرض، المرأة، الخوف، القلق"، أنها(الموضوعة) الرئيسة للعمل الأدبي "تيمة العرف"،إطار الفكرة "[11]،ونجد أيضا أن الموضوع في حقله الطبيعي و منبعه الأصلي يستمد مشروعيته من ما أشارت إليه جاكلين بيكوش، في قاموسها التأثيلي*[12]، إلى أن هذه الكلمة" thème"،كانت تعني–في القرن13م–كلما تعنيه كلمة"Sujet"(مادة، فكرة، محتوى، قضية، مسألة، في العربية)،ثم تطورت–في القرنين16م و 17م –لتدل على: امتحان مدرسي، وبعدها حيث ظهرت كلمة الموضوعاتية" thèmatique"في القرن ذاته".

فالموضوع إذن يحمل مدلولا خفيا ومادي، يعبر عن علاقة إنفعالية وإتصالية في العالم الحساس، باعتبار أنه يضمن للنصوص تكرارا للموضوع في كل العمل، والذي يظهرعبر تواتراته الموضوع الذي تتحدد عبره هوية النص ومضامينه من أجل تشكيل البناء الحقيقي لباقي الموضوعات الموجودة في النص الأدبي.

3-الموضوع وعلاقته بالبنية عند كل من باشلار (G.Bachlard)و جان بيير ريشار (J.P.Richard):

كانت نقطة البدء لمفهوم الموضوع لدى عبد الكريم حسن، حيث أخذ تعريفه لدى ريشار" **على أنّ الموضوع مبدأ تنظيمي محسوس، أو ديناميكية داخلية، أو شيء ثابت يسمح لعالم حوله بالتشكل و الإمتداد، والنقطة المهمة في هذا المبدأ تكمن في تلك القرابة السرية، في ذلك التطابق الخفي والذي يُراد الكشف عنه تحت أستار عديدة**"[13]،ويرتبط الموضوع بالبنية حيث نجد توزيعا لهذا المعني الذي يتشكل منه العمل الادبي لأنها تحمل قيم دلالية التي تستعين بالفلسفة الوجودية والتحليل النفسي في إخراج مكونات عملها الادبي الإبداعي، حيث يقدم ريشار فهما جديداً لمنهجه في أنّ:" **القراءة الموضوعية تعني أن يتساءل الناقد عن "البنى" التي تمثل الحضور الشعري إزاء الأشياء**"[14]، ولقد توصل "ريشار" إلى البنية الخفية للعمل الأدبي حيث "إستخدم إلى جانب مصطلح "البنية " مصطلحات أخرى لتغطية نفس المفهوم ك " الهيكل" و" المعمارية"[15]، وهنا يتشكل العمل الأدبي في ظل الموضوع الرئيسي الذي يشكل سمة العمل وإنتاجيته الإبداعية،تتجسد مهمة البنية داخل العمل في دراسة"المعني"في النقد الموضوعاتي، فدراسة المعني تفضي في رأي "ريشار"إلى نفس البني التي تفضي إليها دراسة الصورة، وهو نفسه الذي نجده عند باشلار في عالمه التخيلي، ويلاحق باشلار فينومينولوجيا الأشياء والكلمات من أجل استقصاء معرفة المعرفة وإدراك العلم عبر رصد"الصورة عند الشاعر، إلى محاولة التواصل مع الوعي المبدع للشاعر، وتصبح الصورة الشاعرية الجديدة بذلك صورة أصيلة وأصلا للوعي، ويمكن من هنا للصورة الشاعرية أن تصبح بذرة عالم، أي بذرة عالم متخيل في مواجهة الشاعر ينفتح وعي الإندهاش في مواجهة العالم أمام الشاعر المبدع بكل سذاجته"[16]

ثانياً: 1-تيمة العرف في رواية غادة أم القرى" نتبع طريقة جان بيياررريشار" :

ملخص الرواية:

تحكي هذه الرواية عن فتاة اسمها زكية، تبلغ من العمر18 عاما،كانت فتاة كسائر الفتيات تخضع لنظام العائلة الحجازية **(تيمة العرف)**، وكانت فتاة تحمل الجمال العربي في أبعده العريقة و الاصيلة، وفي أحد المرات كانت زكية تراقب من الشرفة المارة إذ بها تلمح شابا جميلا كانت تعرفه وهو ابن خالتها جميل،كان هذا الأخير متجها إلى بيتهم، شعرت زكية بشعور غريب تجاه ابن خالتها وتذكرت الماضي القديم عندما كانت تلعب مع جميل بكل حرية فأحست لأول مرة بوطأة الحجاب **(موضوعة العرف)**،وقعت زكية في حب جميل وأصبحت تحبه بجنون،وأصبحت لا تعرف ماذا تفعل إذ تركع لحبها الشديد لجميل أم تخضع لقوانين العائلة الحجازية(موضوعة العرف/التقاليد)،وتشاهد الأقدار أن أبا زكية لديه بعض الأصدقاء والمعارف،

وذات يوم أتي بعض الزوار إلى بيتهم قاصدين أباها سليمان وكان هذا الرجل اسمه أسعد معروفا بأنه رجل وسخ ماله حرام يحب التباهي بنفسه وأخلاقه وأخلاق إبنه رؤوف، ثم دخل أسعد في صلب الموضوع وقال لسليمان لقد أتيناك بالحسب والنسب خاطبين إبنتك لابني رؤوف **(موضوعة العرف التقليدي)**،فتحسس سليمان منهما الغدر فقال دون أي تردد:**أي واحدة منهما ابنتي مخطوبة لابن خالتها جميل**"[17]،فغضب السيد أسعد لأنه لم يعرف قط أن رفض أحد طلبه إلا هذا الرجل، ولما علم إبنه رؤوف غضب وتوعد بتلقين جميل درسا قاسيا.

ذات يوم كان جميل يمشي في إحدي الحدائق وكان رؤوف خلفه مع ثلة من رفقائه،كانوا يشتمونه ويسبونه فلم يتحمل جميل إهانة فغضب منه وهاجمه فقام أحد رفقاء رؤوف وأبلغ الشرطة، حيث اتهم جميل بالسكر و التهجم على رؤوف فحكم عليه بالسجن 6 أشهر مع 80 جلدة كل شهر، حاول سلمان كتمان الأمر مع علمه استحالة ذلك، كان الخبر قاسيا على الجميع ولكنه كان أشد وأعنف على زكية حيث توهمت أنها كسبت المعركة وأن الحظ قد ابتسم لها إذ هو ينهار فجأة، فكانت بين خيارين صعبين الحب الذي تكنه لجميل و تقاليد الأسرة**(موضوعة العرف)**،فهذه الأخيرة تحثها على التظاهر بعدم المبادلات حفاظا على شرف الأسرة **(موضوعة العرف/ التقاليد)**،فستسلمت لقوة القلب ومن دون أن تشعر أطلقت صرخة مدوية، ثم خرت قواها وخرت مغشيا عليها.

وكان هناك شخص ليس بأقل حزنا منها وهي والدة جميل التي كادت تموت من الحزن، لم تلبث العجوز مكانها بل كانت تجري من كل مكان لتستنجد بمن يساعدها ولكن من يا تراه يلتفت لعجوز مثلها، اقترب موسم الحج أخت الأم تقترب نبأ رحلة الملك من الرياض إلى مدينة أم القرى لما جاء الملك وهو في موكبه اعترضت العجوز طريقه وصاحت تصرخ:

–ولدي.... ولدي.... ولدي يا مولاي أنقذو ولدي المظلوم؟

استمع الملك إلي العجوز ووعدها بإعادة النضر في قضية ابنها، عادت العجوز إلى المنزل وأخبرت أختها ماذا جرى، أراد سليمان من أخبار ابنته فأجلسها بجانبه، وقال لها:

–أنّ جميل بخير وسيعود إلينا سالما؟

لم تصدقه الفتاة وبدأت بصراخ وهي تقول: **لقد قتلتموه أنتم تخدعوني وغدت تجري فهوت رجلها وسقطت واصطدم رأسا بحجر السلم وكانت الصدمة قوية فتدفق الدم وأغمي عليها**"[18].

وفي هذه الأثناء كان الملك في قصره قد استدعى صاحب الدعوى وهو رؤوف وشاهداه إلي القصر، وكانوا في انتظار جميل، ثم بدأوا الحديث وإعترفوا بفعلتهم ثم دخل ضابط شرطي إلى القاعة، وأخبر الملك أن جميل قد انتقل إلي رحمة الله وفي هذا الوقت كانت عائلة سليمان

مجتمعين حول إبنتهم خائفين عليها، وإذا بها تفتح عينيها وتبتسم و تقول: **جميل أنا لك؟،ثم توقفت عن الكلام وبقيت تحدق في السماء، فلمس أبوها جبينها براحة يده المرتجفة فوجدها باردة كالثلج .....وحدق في عينيها فوجدهما جامدتين وتحسس نفسها فوجده قد إنقطع، فغدا يبكي كالطفل الصغير**"[19].

وفي هذه الأثناء وقف أمام منزل الشيخ سليمان رسولاً القصر الملكي يحملان نبأ وفاة جميل، وإذ ابهما يسمعان العويل والنحيب.

إن القراءة العميقة للرواية تقيم علاقة متينة بين الدال والمدلول، أي تحيلنا إلى إحاءات دلالية تنم عن وجود موضوعات أو تيمات مختزلة "المرأة، الظلم، الألم، القلق، الأرض"، ولكن الموضوعية الحقيقة التي تربط النص وتحتويه هي موضوعية" العرف" التي تعني التقاليد والعادات لدى الأسر العربية المحافظة، وهي القاسم المشترك بين الأسرة الحجازية وبين الأسرة الجزائرية،فإننا لم نعد نجد فرقا واضحا بينهما، وحتى لدى الأسرة المصرية، ويتحدد الإنتاج الأدبي للرواية عبر رصد هذه التيمة في كونها تكون علاقة داخيلة بين الواقع وخارجه وتعكس تلك العلامات الخفية، والتي تشكل التناقض بين الواقع بحكم عاداته وتقاليده وتلك المبادئ الاسلامية وتشريعاته السمحة التي تخاف تلك الأعراف في معظم أفكاره الظالمة، وهنا نجد أن بنية "العرف"بنية شبكية إشعاعية هي التي تكون لنا العمل الأدبي باعتبارها بنية خفية تشكل **معمارية أو هيكل النص الأدبي وهو هيكل خفي** "[20]،والعرف مبدأ تنظيمي محسوس ثابت وديناميكي **فالمبدأ منه و وعودة إليه**"[21]، وتفجر هذه التيمة جوهر الإبداع النصي حيث يشكل لنا ذلك الامتداد عبر دلالة التكرار المتردد البنية العميقة السلوكية والسوسيولوجية للمجتمع الحجازي، والذي تنظم عاداته سلوكيات المرأة، وتخفي في داخلها عوالم عميقة تسمح لنا بالإلمام بالقوانين العميقة للعوالم التخيلية **وليس التواتر والتردد المكون لنص** "**غادة أم القرى**"[22]،وسنحصي هذه التكرارت **الموجودة عبر كامل الرواية** "[23]:

الموضوعة	التكرار	الصفحة
التقاليد **العادات** **الأسرة المحافظة**	**15**	**-24-23-22-21-11** **.47-39-29**

ونلحظ أن موضوعة "العرف" مختلفة الدلالة ونجد أيضا إيحاءات لها تكون موضوعية، يتجسد لنا الحديث عن العرف من خلال الأسرة الحجازية المحافظة في المجتمع الحجازي "....**فأسرة سليمان ومكانتها في المجتمع المحافظ الذي شهد عقب وفاة الشيخ عبد الرحمان**

وانتقال الثروة والجاه والنفوذ كان من نصيب سليمان ....أسرة متوسطة الثروة شديدة المحافظة، خافتة السمعة"[24]،لا يجرأ أحد على الطعن فيها لما تملكه من وقار وسيادة، أخلاقا وجاها، ففي الحياة العادية نجد أن سليمان "**تزوج بفتاة رائعة الجمال من "البيوتات" كما يقول مواطنوه، وهي الأسر القديمة المحافظة رزق منها بنتين "أسمي و زكية**" [25]، وهنا يعكس لنا قيم المجتمع ومبادئه في كون أن العلاقة الغرامية لم تكن سببا يوما للزواج أو التنفيس عنه أو إبرازه، التي تشكل لنا مهمة الابستمولوجيا في القيام بتحليل النفسي وهي موضوعية التي يهدف التحليل النفسي –**الوصول إليها– إلي بحث عن المكبوتات التي يفترض فيها دينامية وقدرة**"[26]، عبر الحب الذي لا يحق للمرأة أن تجهر به فتستسلم لتقاليد الأسرة المحافظة و نجدها:"**تشعر بوطأة الحجاب لأول مرة وأحست بعبئ التقليد ولا سيما على الفتيات، وياويل الشقية منهن التي يطأ قلبها الحب فإنها تعيش معذبة تعيسة، فليس لها أن تتحكم في قلبها فتحب من تشاء، وتبغض من تشاء، بل لا يجوز لها مطلقا أن تحب، فالحب جريمة لا تغتفر، وفضيحة شنيعة، فعلى الفتاة التي أصيبت بالحب أن تتستر وتتكتم ما أمكنها ذلك وتنتظر يد القدر تفعل بها ما تشاء....**"[27]، وهنا تصطدم الفتاة بواقع أخر هي التقاليد وجبروت الخوف من الأهل ومن المجتمع حيث نجد حبها:"...**فإنها تحبه حبا عنيفا طاغيا يفوق في نظرها حب** أي **فتاة أخرى ما و خاضعة– في نفس الوقت– لتقاليد شديد –تقاليد الأسر القديمة– يجب عليها اتباعها و الخنوع لتعاليمها....**"[28]، وترفض زكية أن يتزوج جميل بغيرها فيصبح لديها هاجس أخر ينعكس لاحقا على صحتها وأفكارها،ونجد في ثنايا الرواية المنولولوج النفسي "حديث النفس" الذي يصاحبها، وهي التيمات التي أبرزها الكاتب مصاحبا إياها بالتحليل النفسي عند المرأة، تلك المرأة التي تخاف من الوالدين، ومن نفسها، ومن قدرها، لانّ قلبها لم تعد تمتلكه، وتجد هذه المكبوتات هي عبارة عن قطيعة إبستمولوجية تظهر في العمل الأدبي :"...**وأنى لهذه الفتاة أن تدرك من دقات القلب وهي تعيش في أحضان المحافظة والتقاليد**"[29]، فتصبح موضوعة "العرف" تتخبط بين العوالق والقطيعة الإبسمولوجية ونجد تلك القطيعة تتحق في المرأة الحجازية بمختلف مقارباتها الفكرية بين سلوكيات المجتمع بأفكاره الفكرية المتجذرة والمرتبطة بالجهل و التخلف الفكري، وبين تلك التيارات الفكرية التى تدعو المرأة إلى التحرر،والمطالبة بحقها الشرعي من تعليم، وحرية إختيار شريك الحياة ....وغيرها من الحقوق التي دعى إليها الشرع الحكيم ونجد ذلك في"**أن المرأة الحجازية تتصل اليوم بطرفين متباعدين سار أحدهما حتى أمعن الماضي السحيق وتقدم ثانيهما حتى اتصل بروح الإستهتار و الخلاعة في هذا العصر، وكل بحث أو تفكير لا يستقيم ولا يكون إلا إذا أغرينا المرأة بالبقاء فيما تقاسيه من حرمان وضياع حقوق** "[30]، وهنا تظهر موضوعة "العرف" الصارخ والمتسيد للمرأة في كونها إنسان مهمش يرضخ لمجموعة من القوانيين اللانسانية إتجاه هذا الكائن اللطيف، الذي ولو تعلم لعلم أجياليا، وذلك لا يتأتي إلا من خلال حسن التربية، ودقة التوجيه، وصرامة التعليم، وضبط المعلومات، " **أو إذا اندفعنا مع فجور**

القرن العشرين، تطالب المرأة بهتلك حجابها المقدس و الخروج من بيتها إلي الشارع ومنافسة الرجال في ميداين الحياة و الإختلاط بهم، أما أن تصون المرأة حجابها الشرعي –التقليدي– وتنال حقوقها الحيوية وتقوم ببعض واجباتها في هذه الحياة، فذلك مالا يلتئم مع رغبات جمهور من الشعب وفريق من متعلمي الشباب"[31]، وهي التي يرصدها" ريشار بأن ضرورة إقرار وظيفة للأدب وقدرات تتجاوز كثيرا دوره القديم، في التسلية والتنميق، إلي إعتماد علي إكتشاف البني و العلاقات بين الموضوعات في العمل الأدبي"[32]،حيث نرصد موضوعة العرف التقليدي وعلاقاته الخفية بين موضوعاته الأخرى فالمرأة تحقق هذه الإفتراضات لتجسيد تلك البني العميقة للموضوع، حيث تتجسد معها تلك التكرارات و الترادادات المصاحبة للعمل الأدبي " القلق، الخوف، الظلم "بسبب الإرتباط العميق للتقليد ودور الأسر المحافظة من بعض المواقف المخجلة التي ربما قد تجلب العار والدمار للأسرة خاصة في **موقف العجوز إثر ذهابها للملك وقطع الطريق عليه، مستعطفة إياه في إبناها الذي يقبع في غياهب السجن المظلمة ظلما وبهتانا كبيرا، فلما تحسس منها سليمان والد زكية ذهابها، رجع إليها مخافة أن تذكر إبنته عنده، فيجلب بذلك العار والدمار للأسرة المحافظة المعروفة بحسن السيرة والسلوك"**[33].

وتظهر القطيعة وتبرز تلك العلاقة السيسيولوجية النفسية للمرأة في ذلك التصارع الداخلي مع سلوكيات المجتمع الخارجي الذي يدفع المرأة إلى التساءل: "**أتذعن لمطالب قومها وتستمر على حياة لا تفوق في كثير ولا قليل عن حياة أمها وجداتها من قبل؟ أم تستمع إلى هذا النداء الخافت من فيئة الشباب وهو يلوح لها بحياة لا تستقيم مع عادات قومها ولا تتصل بسبب تقاليد بلادها ونظم أسرها؟**"[34].

2–موضوعة المرأة بين ثنائيتي الإحصاء والوصف:

ونجد موضوعة المرأة التي تعد البناء الأساسي للمجتمع وركيزته، ونجد تيمة متكررة ومترددة عبر كامل النص، ولذلك يدخلنا الكاتب في مناقشة سوسيولوجية تاريخية للمرأة مبرزا إياها الدور الذي تلعبه إزاء مجتمعها، وما تمثله كأيقونة يجب عليها المحافظة على كرامة الأهل، وتجسد المرأة صورة دلالية للصورة الأنثوية ثانوية وفرعية، تتقمص كيان المجتمع الملازم للصورة الرئيسية العرف، المرتبط في ثناياها السوسيولوجية التاريخية بالتقاليد والعادات خاصة لدى الأسر القديمة، ونجد الفكرة متأصلة ومتجذرة حتى يومنا هذا لدى بعض الدول في عدة مناطق منها، رغم الانفتاح الفكري والحضاري، وكذا رغم القوانين التي تصدر لصالح المرأة، والدفاع عن حقوقها التي من المفروض أن أول من طبقها هو الإسلام، ونتفاعل مع موضوعة المرأة في الرواية غادة أم القرى، حتى غدت المرأة تعاني التهميش وتعيش تلك المخاوف، وخاصة تهميش حقها التعليمي لذا نجد "**صرخات زكية عندما علمت وظنت أن جميل توفي،ونجد كذلك عدم قهرها للضغوط النفسية و الاجتماعية من الأسرة من جهة ومن الحب من جهة ثانية**"[35].

الموضوعة	التكرار	الصفحة
المرأة الحجازية المرأة المرأة المصرية الفتاة	25	-10-11-12-15-20 -21-48-50-51-53 55-حتى أخر الصفحة 62.

3-موضوعة الخوف و الظلم بين ثنائيتي الإحصاء والوصف:

لا تختلف موضوعاتي الخوف والظلم عن موضوعة المرأة والعرف، باعتبارها شبكة اشعاعية، وبنية دلالية مترابطة ببنى عميقية، وهنا تبرز القيمة الجمالية والفنية التي تفجر مكنونات النص الأدبي و تستجلي معانيه، ونرصدها من خلال المخاوف التي عبرت عنها زكية، تجسدت هذه المخاوف عبر حبها لجميل "**جميل الذي لا يريد أن يفارق مخيلتها، وكلما تساءلت عن السبب وحاولت ادراك كنهه أجابها قلبها على الفور بدقات شديدة لم تدرك معناها** "[36]، ثم نلحظ أن الفتاة يحيط بها الجهل والغفلة الذي من المفروض أن تكون متعلمة لتجاوز هاته المطبات خاصة،" **وأني لهذه الفتاة أن تدرك من دقات القلب وهي تعيش في أحضان المحافظة والتقاليد،وهكذا تسرب الحب هذا الداء الخطير إلى قلبها الغر، ووجد في جهلها وحداثة سنها وسذاجتها مرتعا خصبا لجرثومة الحب الذي ما لبث أن احتل قلبها الفتي بدون مقاومة وبسط عليها سلطاته العارم بدون شفقة ولا رحمة وهي في غفلة من كل ذلك**"[37]،وهنا يصور لنا "حوحو" إحساسته إتجاه المرأة الحجازية، وما تجده من حرمان هضمها حقوقها في التعليم، وفي الرأي، وفي مساهماتها الخيرية في المجتمع، والأمر نفسه التي تعاني منه المرأة الجزائرية المعنية بهذا التهميش خارج، حيث تدل تكرارات لموضوعة "المرأة"،نظام التقليد الصارمة التي تحكم السيطرة على المرأة وتختزل عقلها وجسمها، ونجد أن مخاوفها تمتد إلى إصابتها بأمراض نفسية نتيجة"**وخاصة عندما تأثرت بقصص ألف ليلة وليلة، تلك القصص التي تسمعها من والدتها أوقات السهر في ليالي الشتاء الطويلة وقارنت بين حالها وحالة بدر البدور، وهنا ارتعدت فرائصها وهتفت وهي بادية الخوف:**

-اذن هذا هو الحب، فأنا أحب جميل، أجل إني أحبه..

لتسمع لغة القلب وتفهم دقاته ثم تعود إلى خوفها مرة أخرى

-ماذا تفعل لو تزوج جميل امرأة أخرى؟

وارتعدت لهذه الفكرة واصفر لونها وصاحت:

-لا...لا...إني أحبه ولا أسمح به لأحد غيري..."[38].

وكذا الظلم الذي يعانيه جميل والذي يقبع في غياهب السجن مع القتلة و الظالمين، فيجد نفسه مظلوما بينهم يخضع في كل مرة وكل شهر إلى الضرب المبرح الذي يفقده وعيه، حتى تكون وفاته على يدي الجلاد بنوعيه: جلاد الظلم والقهر الذي جلبه رؤوف و أصحابه مع عدم تقصي الشرطي الحقيقة والتحقق منها، **ثم ظلم الجسدي والنفسي الذي دفع جميل ثمنه غاليا ولم تكن له يد فيه حتى أصيب بالقهر النفسي وفي النهاية كانت نهايته المؤلمة بالموت، لقد: مات جميل رحمة الله عليه"**[39].ونجدها متكررة ولكن معظمها ذات إيحاءات ودلالات خفية:

الموضوعة	التكرار	الصفحة
الخوف	**4**	**.58-55-45-28-26**
الظلم	**5**	

4-موضوعة الأرض بين ثنائيتي الإحصاء والوصف:

تتضخم الرواية وتصل هذه الموضوعة إلى ذروتها حينما تتعلق "بالأرض"، فهي تجسد لنا المنبع والأصل وقد إختار الكاتب موضوعة الأرض الحجاز وعبر عن عقلية وفكر وعادات المرأة الحجازية، واختار مكان أم القرى التي جسد فيها مقاربته بأرض الوطن الأصل الجزائر حتى يخفي دلالته الصارخة بعمق المعاني للأرض في أنهما مشتركتان في نفس العادات، ونجد التكرارات واضحة حتى نهاية الرواية:

الموضوعة	التكرار	الصفحة
الحجاز	**12**	**-36-27-16-10-9-8**
الحجازي		**.55-48-40**
القرية		
أم القرى		

من الموضوعات التي نقف عليها كنتيجة حتمية أنها استطاعت أن تخاطب البنية المضمونية مشكلة الوعي المختزل، طارحة لأول مرة تيمات جوهرية لأهداف نقدية بنائية للنص ونجد أن"**النقد الموضوعاتي ينهل من التراث الباشلاري لا يتخلى عن تأكيد استقلالية الأدب عبر القراءة الملازمة للعمل، وهذا ما يحرر هذا النقد من العلاقة المباشرة أو المفترضة كسوسيوتاريخية، فهو يقارب تحت غطاء بنية مضمونية مشكل الوعي الاختزال، طارحا لأول مرة تأملا مباشرا لأهداف النقد"**[40]، ونستطيع أن ندرك أهم البنيات المجسدة للعمل الأبي هي "العرف، المرأة، الخوف، القلق، الأرض، الظلم"، حيث إستطعنا اكتشاف الموضوع الرئيسي"

العرف "وهي التي تعني بتحليل المفرادات التابعة له بكل ظهوراتها، ويتم ذلك أساس تحليل كل المفردة على حدة، وهي موضوعات مكملة للعمل الأدبي حيث استخرجنا النتائج التي قد تكون مهمة جدا أثناء دراسة في التفريق بين هذه الموضوعات وتحديد وظائفها،ونجد عبد الكريم حسن أن يعلل" **دراسته للموضوع الرئيسي، يلاحظ الناقد أن مفرداته تعبر عن أفكار وقضايا متعددة، وإلحاح الموضوع الرئيسي على قضايا بعينها هو الذي يحدد الموضوعات الفرعية، وتظهر أهمية هذا الإلحاح كميا ونوعيا**"*، ومن خلال دراستنا لموضوعة "العرف" كشفت الدراية عن جملة من الخصائص المؤسسة للعمل الأدبي حيث:

وقفنا على أهمية العادات والتقاليد لدى الأسر المحافظة، وهي تقاليد التي تربطنا بالموضوعات الفرعية والتي تمثلت في المرأة بفرض الضغوطات عليها،وذلك بالحرمان حيث تعيش محرومة من نعمة الحرية، ونعمة الحب، ونعمة العلم، تلك التقاليد الصارمة والطاغية المنبثقة من مجتمع فاسد جاهل بعيد عن كل تعاليم الإسلامية السمحة التي تشاركت بين المجتمع الحجازي وهي نفسها نجدها لدى المجتمع الجزائري، وبذلك يعكس مظاهر التخلف والانحطاط للمجتمع، ويعكس نظام الحكم لدى بعض الأسر الراقية، ثم نجد فكرة الميراث التي تركها الشيخ عبد الرحمان لابنه سليمان،حيث ينتقل في خط أبوي ينتقل من الأب إلى الابن الذي يحافظ على هذا التراث التقليدي، ثم ننتقل إلى فكرة الزواج المرتبطة أساسا بالعرف والتقليد حيث يمنع منعا باتا للمرأة أن تستأذن للزواج بها سواء كانت بكر أم لا كالثيب والمطلقة والأرملة، والشريعة الإسلامية تسمح للمرأة أن تستأذن في الزواج وهذا تغييب وتدمير للمكانة الاسلامية وتهميش لدورها وكيانها، والتي لم تبلغ بعد لا تستأذن في القانون التشريعي الجائز،وتتم دراسة موضع العرف كموضوع رئيسي، الذي يشكل شبكة خفية تحمل المعاني راسخة وصارخة للتقيد التقليدي المنضبط للمجتمع، حيث نجد أيضا عبد الكريم حسن:**يؤكد أن دراسة الموضوع الفرعي بما يحقق شرطين:الأول وهو إضاءة هذا الموضوع الفرعي للجانب الذي قاد إلى دراسته من الموضوع الرئيسي، والثاني وهو إضاءة خصوصية الموضوع الفرعي**"[41].

الإحالات والهوامش:

[1]– طه وادي: دراسات في نقد الرواية، دار المعارف، ط3، القاهرة، 1994، ص5.

* البنيوية الموضوعاتية: هو اتجاه بنيوي قائم بذاته، ذلك أنّ الموضوعاتية ليست حكرا البنيوية، بل منهج بلا هوية، أو ميدان هلامي تتداخل فيه مختلف الرؤى الفلسفية والمناهج النقدية (الظواهرية، الوجودية، التأملية، البنيوية، النفسانية....)، التى تتضافر فيما بينها ابتغاء التقاط الموضوعات المهيمنة على النصوص، في التحامها بالتركيب اللغوي الحامل لها.

وقد نشأ هذا المنهج في أحضان الفلسفة الظواهرتية، وتغذى على أفكار الفيلسوف الفرنسي غاستور باشلار GASTON ***BACHELARD***"1884–19652"، ونما وتطور، ابتداء من ستينيات القرن العشرين، في بيئة فرنسية أساسا.

[2]– يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، بيروت،2008، ص:152–153.

[3] –سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، شركة بابل للنشر والطباعة، ط1، الرباط، المغرب،1989، ص:3.

[4] – النقد الموضوعاتي:هو الذي يتغذى على الميراث الباشلاري يؤكد في النص على تلازم واستقلالية الأدب المتحرر من العلاقة المباشرة بالافتراضات السوسيو–تاريخية، إنه يعالج تحت غلاف البنية قضية الوعي الإختزالي، كما يتخلى الناقد عن "الكاتب/حياته/ عمله"، لكي يتفرغوا نهائيا إلى الدراسة الداخلية للكتابة، بواسطة تحليل نصي، مضاد للانسونية.1

[5] – سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، المرجع السابق، ص:3–4.

[6]– الخليل ابن أحمد الفراهيدي: العين، تج: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2003، ص:378.

[7] –جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1979، ص:183.

[8] –سمير حجازي: قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دار الأفاق المعاصرة، ط1، القاهرة، 2001، ص:138.

* من خلال هذا التحديد نجد ثلاثة أطراف للموضوع ونجد تلك الإرهاصات الخفية للموضوعاتية والتي تعد من ضمن الدراسة التي نحن بصدد طرحها: 1–الدينامية الجمالية للموضوعاتي (بحكم أنها تسمح بسلسلة متغيرات غير متوقعة).

2–السيكولوجية (بحكم تكوينها وتحليلها في وعي الكاتب والقارئ والسامع والشاهد).

3–السوسيولوجية (كسلسلة أفكار تلقيت بأشكال مختلفة تتقاسمها الجماعات السوسيو–ثقافية، وتروج عبر الحوار الذي يوجه الجمهور.

4–من خلال التاريخية (كظاهرة تكتسب بعض الخطوط وتفقد أخرى في تعديل لروابطها الداخلية ونقل لحدودها الخارجية).

[9] –سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، المرجع السابق، ص:9–10.

[10] –سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، 1985، ص: 231.

[11] –جيرالد برنس:قاموس السرديات، تر:السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات،ط1، القاهرة، 2003، ص:199.

[12]–يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي الجديد، المرجع السابق، ص:153.

* التأثيلي: علم تاريخ الكلمات، ونحن هنا نرصد كلمة التيمة في مصطلحها الفرنسي:

Thème : التيمة، بمعني الموضوع، المسألة،مبحث،المحتوى.

[13] –عبد الكريم حسن: المنهج الموضوعي نظرية وتطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، ب د، 1990، ص:38.

[14] –عبد الكريم حسن: المنهج الموضوعي، المرجع السابق،ص: 85.

[15] –عبد الكريم حسن: المرجع السابق، ص:85.

[16] –سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، المرجع السابق، ص:18.

[17] –أحمد رضا حوحو: غادة أم القرى، الأنيس السلسة الأدبية، (موقع مكتبة هنا كتبي)، د.ب،2007، ص:23.

[18] –نفسه: ص:57.

[19] –نفسه: ص:62.

[20] –عبد الكريم حسن: النقد الموضوعاتي، المرجع السابق: ص:86،85.

[21] –عبد الكريم حسن، المرجع السابق، ص:38.

[22] –سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، المرجع السابق: ص33.

[23] –أحمد رضا حوحو: غادة أم القرى، المرجع السابق، ص: من 11،إلى 49.

[24] –المرجع السابق: ص:24.

[25] –نفسه: ص:25،24.

[26] –سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، ص:18.

[27] –نفسه: ص:19.

[28] –المرجع نفسه: ص:19.

[29] –نفسه: ص:20.

[30] –نفسه: ص11.

[31] –نفسه، ص:12،11.

[32] –سعيد علوش: النقد الموضوعاتي: المرجع السابق: ص:15.

[33] –المرجع نفسه، ص:56.

[34] –نفسه، ص:12.

[35] –نفسه، ص:57.

[36] – المرجع نفسه، ص:20.

[37] –نفسه، ص:21،20.

[38] –نفسه،22.

[39] –نفسه،ص:62.

[40] –سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، المرجع السابق، ص:26.

[41] –سعيد علوش: المرجع السابق،ص:41.